خُطُورَةُ صَدِيقِ السَّوْءِ

أَيْ بُنَيَّ، بَعْدَ هَذَا التَّطْوَاف معَكَ، وبَعْدَ أَنْ عَلِمْتَ خُطُورَةَ صَدِيقِ السَّوْءِ قَدْ تَتَعَجَّبُ، لَكِنَّكَ سَوْفَ تَتَعَجَّبُ أَكْثَرَ إِذا علمْتَ أَنَّ هُنَاكَ أُنَاسًا يَعْرِفُونَ صَدِيقَ السَّوْءِ كَمَا يَعْرِفونَ أَبْنَاءَهُمْ، لَكِنَّهُمْ لا يُسَارِعُونَ إِلَىٰ التَّخَلُّصِ مِنْهُ، قَبْلَ أَنْ يَتَمَنَّىٰ أَحَدُهُمُ الخَلاصَ، وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ(١)، وَقَبْلَ أَنْ يَكُونَ حَالُهُمْ كَمَا أَخْبَرَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً (٢٩) ﴾ [الفُرْقَان : ٢٧ - ٢٩].

وَلَعَلَّ عَدَمَ الشَّجَاعَةِ فِي سُرْعَةِ التَّخَلُّصِ مِنْهُ، وَالحَزْمِ فِي هَجْرِهِ - يَرْجِعُ إِلَىٰ عِدَّةِ أُمُورٍ، مِنْهَا:

---

(١) المَنَاص: المَلْجَأ .

١ - قِلَّةُ الْعِلْمِ ،وَغَلَبَةُ الجَهْلِ، وَهَذَا مِنْ شَأْنِه أَنْ يُورِثَ صَاحِبَهُ قِلَّةَ التَّلَمُّحِ لِلْعَوَاقِبِ، وَعِلاجُ ذَلِكَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ عِنْدَ أَهْلِه، وَمَنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ بِسُؤَالِ الْعُلَمَاءِ وَاسْتِشَارَتِهِمْ؛ فَإِنَّ فِي سُؤَالِهِمُ الْبَرَكَةَ، وَفِي اسْتِشَارَتِهِمْ سَدَادُ الرَّأْيِ الَّذِي يُحْمَدُ مَعَهُ الْفِعْلُ.

٢ - ضَعْفُ الشَّخْصِيَّةِ ، وَضَعْفُ الشَّخْصِيَّةِ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُورِثَ صَاحِبَهَا الحِيرَةَ، وَالتَّرَدُّدَ، وَالخَوَرَ، وَالجُبْنَ، وَالْعَجْزَ، وَعِلاجُهَا بِالتَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِه، وَمُجَالَسَةِ النُّبَلاءِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا.

٣ - الخِذْلانُ بِسَبَبِ ذُنُوبٍ سَالِفَةٍ، وَالخِذْلانُ مِنْ شَأْنِه أَنْ يُورِثَ صَاحِبَهُ رُؤْيَةَ الأُمُورِ عَلَىٰ غَيْرِ حَقِيقَتِهَا، فَيَرَىٰ الْبَاطِلَ حَقًّا، وَالحَقَّ بَاطِلاً، وَالصَّدِيقَ عَدُوًّا، وَالعَدُوَّ صَدِيقًا، وَهَكَذَا، وَعِلاجُهُ بِالتَّوْبَةِ، وَرَدِّ المَظَالِمِ إِلَىٰ أَهْلِهَا.

وَلا إِخَالُكَ - يَا بُنَيَّ - إِلاَّ كَالشُّعْلَةِ فِي النَّارِ،

يُصَوِّبُهَا (١) صَاحِبُهَا ، وَتَأْبَىٰ إِلاَّ ارْتِفَاعًا ، وَحَالُكَ :

وَلِي نَفْسٌ تُنَازِعُنِي إِذَا مَا
أَقُولُ لَهَا : لَعَلِّي أَوْ عَسَانِي

لَكِنْ – يَا بُنَيَّ – الحَيُّ لا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أَلَيْسَ إِمَامُ الدُّنْيَا فِي عَصْرِهِ اسْتَنْزَلَهُ سَمْتِيَّةٌ (٢)، وَالسُّنِّيُّ الكَبِيرُ وَالأَدِيبُ الخَطِيرُ غَرَّتْهُ غَادَةٌ ؟! (٣).

---

(١) يُصَوِّبُهَا : يَخْفِضُهَا .

(٢) جَاءَ فِي تَرْجَمَةِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الضُّبَعِيِّ فِي « تَهذِيْب الكَمَال » (٥/٤٧) : قَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي عُثْمَانَ الطَيَالسِيُّ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ مَعِيْن : سَمِعْتُ مِنْ عَبْدِ الرَّزَّاق (أي : الإِمَامِ المُحَدِّث شَيْخِ الشُّيُوخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيِّ) كَلاَمًا يَوْمًا فَاسْتَدْلَلْتُ بِهِ عَلَىٰ مَا ذُكِرَ عَنْهُ مِنَ المَذْهَب، فَقُلْتُ : إِنَّ أُسْتَاذَيْكَ الَّذَيْنِ أَخَذْتَ عَنْهُمْ ثِقَاتٌ، كُلُّهُمْ أَصْحَابُ سُنَّة : مَعْمَرٌ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَس، وَابْنُ جُرَيْج، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَالأَوْزَاعِيُّ، فَعَمَّنْ أَخَذْتَ هَذَا المَذْهَبَ ؟ .

فَقَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الضُّبَعِيُّ ، فرأَيْتُهُ فَاضِلاً حَسَنَ الهَدْيِ، فَأَخَذْتُ هَذَا عَنْهُ » اهـ.

(٣) جَاءَ فِي تَرْجَمَةِ عِمْرَانَ بْنِ خِطَّانَ فِي « السِّيَر » (٤/٢١٤) : حَدَّثَ سَلَمَةُ بْنُ عَلْقَمَةَ عَنِ ابْنِ سِيرِيْنَ، قَالَ : تَزَوَّجَ عِمْرَانُ خَارِجِيَّةً، فَقَالَ : سَأَرُدُّهَا، قَالَ : فَصَرَفَتْهُ إِلَىٰ مَذْهَبِهَا .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ:

وَلا يَنْفَعُ الجَرْبَاءَ قُرْبُ صَحِيحَةٍ
إِلَيْهَا ، وَلَكِنَّ الصَّحِيحَةَ تَجْرَبُ

أَيْ بُنَيَّ، إِذَا رَأَيْتَ مِنْ صَاحِبِكَ نَوْعَ انْتِكَاسَةٍ بَعْدَ صَلاحٍ – فَعَالِجْهُ قَبْلَ أَنْ يُعَالِجَكَ، وَتَلْعَبَ بِكَ أَمْوَاجُهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ لِعِلاجِكَ المَسَاغَ فَاهْجُرْهُ، وَاقْطَعْ دَابِرَهُ، واحْمَدِ اللهَ الَّذِي عَافَاكَ، وَمَتَىٰ رَأَيْتَ مِنْ نَفْسِكَ هَوَىً نَحْوَهُ، فَعَلِّقْ قَلْبَكَ بِاللهِ، يُعَوِّضْكَ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ، وَأَخْلِصْ تَتَخَلَّصْ مِنْ مُؤْنَةِ النِّزَاعِ[1] ، وَحَالُكَ :

فَفِي النَّاسِ أَبْدَالٌ، وَفِي التَّرْكِ رَاحَةٌ
وَفِي الْقَلْبِ صَبْرٌ لِلْحَبِيبِ وَلَوْ جَفَا

( ) قَالَ ابْنُ القَيِّم – رَحِمَهُ اللهُ – فِي «الفَوَائِد» (ص١٤٢) : «إِنَّمَا يَجِدُ العَبْدُ المَشَقَّةَ فِي تَرْكِ المَأْلُوفَاتِ مِنْ تَرَكَهَا لِغَيْرِ اللهِ ، أَمَّا مَنْ تَرَكَهَا صَادِقًا مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِه ، فَإِنَّه لاَ يَجِدُ فِي تَرْكِهَا مَشَقَّةً إِلاَّ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ؛ لِيُمْتَحَنَ أَصَادِقٌ هُوَ فِي تَرْكِهَا أَمْ كَاذِبٌ ، فَإِنْ صَبَرَ عَلَىٰ تِلْكَ المَشَقَّةِ قَلِيلاً ، اسْتَحَالَتْ لَذَّةً» اهـ.

فهرس

المُقَدِّمَة ٥

نَصُّ الرِّسالة ٨

اخْتِيارُ الصَّاحب الصَّالِح تَوْجِيهٌ رَبَّانِيٌّ ١٠

حَثُّ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى اخْتِيارِ الصَّاحِبِ الصَّالِحِ ١٣

الإِنْسَانُ يُؤَثِّرُ وَيَتَأَثَّرُ ١٦

تَأْثِيرُ الصَّاحب ٢١

الصَّاحِبُ الصَّالِحُ لا يَشْقَى بِه جَلِيسُهُ ٢٧

الصَّاحِبُ السَّيِّئُ يَشْقَىٰ بِه جَلِيسُهُ ٣١

الصَّالِحُ وَغَيْرُ الصَّالِحِ لا يَجْتَمِعَانِ ٣٤

اخْتِيارُ الأَصْحَاب ٣٧

بَعْضُ صِفَاتِ الصَّاحِبِ الصَّالِحِ ٤٥

١ – الْعَقْلُ ٤٥

٢ – الدِّينُ ٥٠

٣ – حُسْنُ الْمُعْتَقَد ٥٣
قَاعِدَةٌ فِي مَعْرِفَةِ حُسْنِ الْمُعْتَقَدِ: ٥٥
٤ – التَّقْوَى ٥٨
٥ – الحَسَبُ ٦٢
حِرْصُ السَّلَفُ عَلَىٰ صُحْبَةِ صَاحِبِ الحَسَبِ: ٦٥
٦ – بِرُّ الْوَالِدَيْنِ ٧٠
٧ – حُسْنُ الخُلُقِ ٧١
٨ – الحَيَاءُ ٧٣
٩ – التَّوَاضُعُ ٧٥
الْكِبْرُ دَلِيلُ النَّقْصِ: ٧٧
١٠ – عُلُوُّ الْهِمَّةِ ٨١
بَعْضُ صِفَاتِ دُخَلاءِ السَّوْءِ ٨٣
١ – اللُّؤْمُ ٨٣
صُحْبَةُ اللِّئَامِ مِحْنَةُ الكِرَامِ: ٨٥
الانْقِبَاضُ عَنِ اللِّئَامِ: ٨٩
٢ – تَرْكُ الصَّلاةِ ٩٤

obeikandl.com

٣ – الحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا ٩٦
٤ – النَّمِيمَةُ ٩٩
٥ – التَّلَوُّنُ ١٠١
٦ – الحَسَدُ ١٠٦
لا يَجْتَمِعُ الإِيمَانُ وَالحَسَدُ: ١٠٨
التَّخَلُّصُ مِنْ صُحْبَةِ الحَاسِدِ: ١١٣
٧ – الكَذِبُ ١١٥
٨ – الرَّغْبَةُ فِيمَا لا يَمْلِكُ ١١٧
٩ – دُنُوُّ الهِمَّةِ ١٢٥
١٠ – الْكَسَلُ ١٢٧
الأُلْفَةُ ١٢٩
أ – الأُلْفَةُ قَاعِدَةٌ ذَهَبِيَّةٌ فِي مَعْرِفَةِ الصَّاحِبِ: ١٢٩
ب – أَلْفَةُ الأَخْيَارِ: ١٣٣
جـ – أُلْفَةُ الأَشْرَارِ: ١٣٤
خُطُورَةُ صَدِيقِ السَّوْءِ ١٣٨
الفِهْرِسُ ١٤٢